

ديوان الصحافة

عند العُمانيين (٣)

محبوب

الإصدار التاسع والتسعون

الأغراض والإيمان

بقلم أبي مسلم البهلائي سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م

«الأغراض والإيمان»
هذا الكتاب من السيد الوالد من الأقتدار على النظم وشدة فنه وعينه
على ملته ولا يأس بأن يفرح في هذا المجموع نبذة من فنن الرائق اشعاراً
ابعد نظرم وأنه ممن يتقدم وطنه العزيزين الخدمة التي تترجم نتيجة الإصلاح وتعلم
الامة ذروة الارتقاء والفلاح واختارنا من ذلك مقالته الحسنة التي نشرها
في النجاشة المرفوعة عام ١٣٣٢ تحت عنوان الأغراض والإيمان حين كان مديراً
اللكي فانها مقالة استغرقت فيها ذهنه وطلب الى الدولة العثمانية حامية الحرم
اعانة المتولي من اخواننا العثمانيين حيث التناذرت عاصمة مسقط بالافكار التي
في حرمها واما يوم الامام المظفر وصي الشهيد واقعة ذلك مشهورة فحسب صفحا
عن ذكرها ونفتني بما ذكره اوالد من ثماها قال رحمه الله
لا احاول من قل نعمت في جيبته ولا خلع كل ملابس شرورها ولا اربأ
انقع على نقد وهو معاشها ولا انصاع للحية الرقشاء ان تتخلص من
فادور لا امد يد الى انقاصه ولا اتق بامل في حصوله لاني
مستغنى عن المال وبلا اقل هجم في طريق

استخرجه وقدم له

سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني

سلسلة: ديوان الصحافة عند العمانيين

الحلقة الثالثة

الأغراض والإيمان؛ بقلم أبي مسلم التُّهْلاني سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرقمية الأولى

رمضان ١٤٤٦هـ / مارس (آذار) ٢٠٢٥م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي

مسقط / سلطنة عُمان

البريد الإلكتروني:

mahboub.pd@gmail.com

الأغراض والإيمان

بقلم أبي مسلم البهّلاّني سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه

• بين يدي المقالة:

كان قيام دولة الإمام سالم بن راشد بن سليمان الخروصي في ١٢ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ الحدث الأبرز بعمان آنذاك، قبل قيام الحرب العالمية الأولى في رمضان ١٣٣٢هـ/ يوليو ١٩١٤م.

وقد أظهر شاعرُ عمان الأول على الإطلاق أبو مسلم البهلاني - وهو المتغرب عن وطنه أزيدَ من ربع قرن - سُروره البالغ بالنهضة العمانية الصادقة (كما يسميها)، وانتباهة الشرق التي فتحت العيون على مكائد الغرب، وأبدى استعدادَه لبذل نفسه في خدمة الدولة الناشئة بكل ما يستطيعه، وتَحَرَّقَ شوقًا إلى اللحظة التي يُنَفِّسُ له فيها بالعودة إلى معاهد تذكاره.

وفي تلك المرحلة تَدَفَّقَ حيزومُ أبي مسلم بقصائده الرنانة التي سارت بها الركبان، وأسأل مداد قلمه نثرًا وشعرًا في نصرة القضية، غير أن سطرًا واحدًا من ذلك كان كفيلا بقلب ظهر المِجَنِّ عليه، فأزعجت

قصائده الاستنهاضية مسامع ولاية الأمر في زنجبار وأقصت مضاجعهم، ثم قطعت عنه حكومة زنجبار راتبه التقاعدي، منذ أواخر سنة ١٣٣١هـ حتى وفاته. وكان قد استقال من مهمة القضاء حوالي سنة ١٣٢٦هـ وطلب التقاعد. ثم استعفى من إدارة صحيفته (النجاح) وتركها بيد رفيقه الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي، وما لبثت الإدارة الإنجليزية (المتشدقة بالحرّيات) أن ضيّقت على صحيفته ومطبعتها حتى أغلقتها في شوال ١٣٣٢هـ/ سبتمبر ١٩١٤م، ونفّت اللمكي إلى الهند، وفرضت على أبي مسلم غرامة مالية باهظة.

أصل هذه المقالة منشور في عددٍ لم أقف عليه من أعداد صحيفة (النجاح) سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م لما كان الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي يدير تحريرها، ونقلها تلميذ أبي مسلم وابن أخيه: سالم بن سليمان البهلاني، في نسخة ديوان عمّه أبي مسلم؛ التي نسخها سنة ١٣٤١هـ، وقال في التصدير لها (ص ١١٥ من النسخة المذكورة):

«قد عرف الناس ما لسيدي الوالد من الاقتدار على النظم، وشدة نزعته وغيخته لبني ملته، ولا بأس بأن نورد في هذا المجموع نبذة من نثره الرائق، إشعاراً لبُعد نظره، وأنه ممن يخدم وطنه العزيز الخدمة التي تُثمر نتيجة الصلاح، وتُعلي الأمة ذروة الارتقاء والفلاح. واخترنا من ذلك مقالته الحسنة التي نشرها في (النجاح) الأغر عام ١٣٣٢ تحت عنوان:

(الأغراض والإيمان)، حين كان مديراً له اللمكي (اللمكي: هو ناصر بن سليمان، أقيم مديراً للنجاح بعد استعفاء أبي مسلم عنه).

فإنها مقالةٌ استفرغ فيها ذهنه، وطلب إلى الدولة العثمانية حامية الحرم إعانة المنكوبين من إخواننا العُمانيين، حينما التاذت عاصمةً مسقط بالإنكليز، في حربهم أيامَ الإمام الخروصي الشهيد، وواقعةً ذلك مشهورة، نضرب صفحاً عن ذكرها، ونكتفي بما ذكره الوالدُ من شأنها.

وكنت أتمنى لو وقفت على مقالة أخرى - مشابهة لموضوع هذه المقالة - نشرها أبو مسلم في جريدة (الأهرام) المصرية، في عددها الصادر يوم الأربعاء ٢٦ شعبان ١٣٣١هـ / ٣٠ يوليو ١٩١٣م، غير أنني لم أوفق في الحصول عليها.

الأغراض والإيمان

بقلم: أبي مسلم البهلاني

لا أَحَاوِلُ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ تَرَكَ جِبَلَتِهَا^(١)، وَلَا خَلَعَ كُلِّ مَلَابِسٍ شُرُورَهَا، وَلَا أُرَبِّأُ^(٢) بِالذَّبَابَةِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْقَدَرِ وَهُوَ مَعَاشُهَا، وَلَا أَنْصَحُ لِلْحَيَّةِ الرَّقَشَاءِ^(٣) أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ سُمُومِهَا وَهِيَ جَوْهَرُهَا. كُلُّ ذَلِكَ لَا أُمِدُّ يَدًا إِلَى التَّمَاَسِهِ، وَلَا أَثِقُ بِأَمَلٍ فِي حُصُولِهِ، لِأَنِّي أَصْبَحُ طَالِبًا لِلْمَحَالِ، خَصَمًا لِلطَّبِيعَةِ، عَدُوًّا لِلْعَالَمِ، وَبِالْأَقَلِّ حَجَرَةً فِي طَرِيقِ سِيرِ الْفَطْرَةِ، أَوْ غَرَضًا لِسَهَامِ الْأَغْرَاضِ.

^(١) جِبَلَةُ الشَّيْءِ: طَبِيعَتُهُ وَأَصْلُهُ.

^(٢) يُقَالُ: إِنِّي لَأُرَبِّأُ بِكَ عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، أَي: أَرْفَعُكَ عَنْهُ.

^(٣) الرَّقَشَاءُ مِنَ الْحَيَّاتِ: الْمُتَقَطِّعَةُ بِسَوَادٍ وَبَيَاضٍ.

ولكني أقف خلف الناموس^(٤) السماوي والنور العقلي، وأمشي تبعاً
لَهُمَا حيث توجَّهاً بلا توقُّف، ولا اكتراثٍ بالرواعد والبوارق والصواعق
والنوازل من شرور هذا العصر، لأنِّي أعلمُ أني تابعٌ لإمامين مؤدِّيَّين إلى
السعادة والاطمئنان والكمال والفضيلة، وبهذه التبعية المقدسة أفتخرُ
ويفتخرُ مَنْ ذهبَ مذهبي.

نَعَمْ؛ أفتخرُ بأن أكون مُحِقّاً في هذا السلوك، منتقداً على كل حُطَّةٍ
تُناقِضُهُ، غير مُبالٍ بما يطرق مسامعي من الجهات الست، من جعجعة بلا
طحن^(٥)، وقعقة لغير سلاح، لِعَلَّمي أن ما أسمعُه أصواتٌ تلاطمُ
الأغراض، وتصادمُ الأهواء، وأنَّ الجِدَّ كلَّ الجِدِّ هو تصديق الناموس على
أحكام العقل ليس إلا.

هل مَنْ يُنكرُ عليَّ اقتفاءً وتقليدَ ناموسٍ جاء من صوبِ الله يضمنُ لي
الحصول على الفضيلة بحذافيرها، والنَّشَل^(٦) من الهمجية والردالة برمتها،
ثم ألتمس من عقلي الصحيح مطابقة هذا الناموس فلا أجده إلا منطبقاً
على أحكامه انطباقاً طبيعياً ضرورياً من جميع جهاته؟

(٤) الناموس: لفظ معرب، ربما يرجع إلى أصول يونانية، تشير دلالته في الأصل إلى معنى صاحب السر،
واستعمله أهل الكتاب اسماً لجبريل عليه السلام، وتجوَّز العرب فأطلقوه على الوحي.

(٥) يُضرب مثلاً لمن يُكثر من الكلام دون عمل. ومثله: قعقة لغير سلاح.

(٦) النشل: الإخراج والانتزاع.

فبعدَ حصولي على هذا الكنزِ النفيس الضامن بالحياة الفاضلة في الأولى، وبالحياة السعيدة الخالدة مع الرسل والملائكة في العقبى؛ أتركه وأفرّ منه إلى ناووس^(٧) مظلّم موحش قذر؛ اسمُه الدنيا، وجوهره الشرُّ والأغراض والأكدار، وغايته الفناء، وعقابه الحساب وسوء الحساب، أعيش فيه عيشًا منعصًا بين سُكّانه، وهُمْ إمّا حيّة تنهش، أو عقرب تلسع، أو سَبُع يفترس، أقلُّ آفته المرضُ المُضني والفقر المدقع؟!

إنّ هذه الضجة التي أسمعُها في المجتمع البشريّ هي ضوضاءُ التّقارع على هذا الناووس وخبائثه، وآفاته ومصائبه، وإليها تتراعى أغراضهم، وعليها تتنافس أطماعهم.

أيها الإنسان؛ يا شقيقي في الآدميّة، ونَسِبي في الفطرة؛ إنك لم تُخلَقْ لذلك، وليس الطريقُ هنالك. ارجعْ وراءك إلى مَحَجّة واضحة، ناصبُها القرآن، ودليلها خاتم الرسل، وغايتها الفردوس الأعلى ورضوان من الله أكبر. لَعَمْرُ أبيك؛ هَلُمَّ إِلَيَّ نتشارك في تفتيش ظواهر الحنيفة وبواطنها، وفي جلائل النعمة بها ودقائقها، وفي لوازم هذا الإسلام ووسائله، ثم ننظر هل نجدُ بين خبايا هذه المنن الثلاث نقطةً أو ذرّةً تُبيح للمسلم بيئته التي نزلها اليوم؟

^(٧) الناووس: لفظ معرب، ربما يرجع إلى أصول يونانية، تشير دلالاته في الأصل إلى قبر النصارى أو التابوت الذي يدفنون فيه، وتجوّز العرب فأطلقوه في مقابل الناموس على المكان الموحش.

ولا أقدر^(٨) على تعداد ذرّات الكثران المنهالة من مسبّات التفرّق،
وموجّبات التحزّب، وموقدات الأضغان، ومثيرات الفتن، ثم نحكم حينئذٍ:
هل كل ذلك مَبْغِيٌّ على أساس الأغراض؟ وهل هي مثارُ الشرور ومَنَجَمُ
المفاسد وبركان المهالك أم لا؟ وهل الأغراض هي العقارب الدّبابة بل
الشقاء الأبدي أم لا؟

رُويَدًا بني الأغراض؛ الأسنى^(٩) واحد وهو رضوان الله، وسبيلُ
تحصيله واحدةٌ وهي الإيمان، وفي هذه الطريقة يتفاضل المتفاضلون
بالتقوى، وبه الأكرميّة لا بالغنى والفقر، ولا بالحسب والنسب، ولا
بالنفوس المتعالية ولا بالعظام البالية.

هل عرفتم يا بني الأغراض أنكم تصطادون أغراضكم بجبائل
التقوى؟ فإذا صُنِعَ لكم عملٌ صالح خالِصٌ من كل غرضٍ دنيءٍ أثاقلتم إلى
الأرض ورضيتم بالحياة الدنيا، وربما رَمِيتُمُ المُشِيرَ به بالسَّفَه والخرق^(١٠)،
أو بالجنون والخبال، ذلك لأنه ناقضٌ مذهبكم، وجاءكم من غير
واديكم، وإذا انتصبَ لكم عملٌ تتوخّون فيه ذرّةً من ذرّات الحظوظ

(٨) قوله: «ولا أقدر... إلخ» أي: أن هذه الأمور لا تنحصر، لأنها تتجدد بتجدد الطور البشري، فكل
أمة نشأت لا بد من أفرادها تحريش الأضغان، وبث الفتن، وإيقاد نار الحسد، وقُلَّ أن تسلم أمة من
ذلك. فمحاولة تعداد هذه الهواجس النفسانية والبواعث الشيطانية محاولة طلب المحال. اهـ. ن.
(حرف النون علامةٌ على أن هذا التعليق لأبي مُسلم ناصر).

(٩) الأسنى: يستعمله أبو مسلم هنا بمعنى: المقصد الأسنى.

(١٠) الخرق: الجهل بالشيء وعدم إحسان عمله.

النفسانية قُتْمَ إليه برحمة أبي بكر الصديق، وبزهد عمر الفاروق،
وبشجاعة علي بن أبي طالب حيدرة الإسلام، حتى يحصل الطيرُ في الشبَك،
وحينئذٍ لا رحمة ولا زهد ولا شجاعة!

باليوم والأمس قد صَمَّتْ آذانُ العالمِ بأصوات الدّاعين إلى إعانةٍ في
طرابلس الغرب والبلقان^(١١)، بل وإلى إعانة الدولة العثمانية وتقوية
نصابها، لأنها الحامية الكبرى للإسلام وأهله، وبيدها راية الخلافة
المحمدية. فقامَ العالمُ الإسلامي على قدمٍ وساق، ويهرعون إلى صوت
الداعي، فبذلوا وُسْعَهُم هذه السبيل، وانتعشت الدولة بعض الانتعاش
بتأييد الله وحراسته. وما أحسنَ هذا البذل وما أعظم جدواه! ونتمنى لو
جَدَّ المسلمون كل الجد في مشاطرة الدولة أنفسهم ونَفِيسَهُم، حتى يبقى
استقلالُ عِلْمِهَا للأبد.

نعم؛ وقام بيننا رجالٌ يومئذ رفعوا عقائرهم وشَقُّوا جُيُوبَهُمْ^(١٢) ومزّقوا
القلوبَ بِمُخْطَبِهِم الرنانة، يَدْعُونَ أهل الملة إلى بذل المعونة في تلك السبيل،
فأسرع الناسُ إلى إجابتهم، وجمعوا عددًا من التَّقْدِ مُعْتَبَرًا بالنسبة إلى

^(١١) يشير إلى حرب طرابلس الغرب عام ١٣٢٩ - ١٣٣٠ هـ / ١٩١١ - ١٩١٢ م التي شنتها إيطاليا
لاحتلال طرابلس الغرب؛ إحدى الولايات العثمانية آنذاك التي عُرفت لاحقًا باسم ليبيا. وحرب
البلقان عامي ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ / ١٩١٢ - ١٩١٣ م بين دول البلقان والإمبراطورية العثمانية.

^(١٢) كناية عن إظهار الحزن.

مجهودهم. فاعتبرنا أولئك الرجال رجالا، ووجدنا التحبذ صنعهم والثناء عليهم مجالا، لأنهم ظهروا لِعَرَضِ الأُسْنَى وهو طلب رضوان الله بلا غرضٍ سواه.

فالآن نرجع إلى دعائنا إلى الإنسانية والرحمة وتقوية الأعصاب الإسلامية، إذ الإسلام واحدٌ حيث كان وفيمن كان، والمسلمُ أخو المسلم حيث كان وأيّاً مَنْ كان، وإذا كانت الجامعة واحدة، والمسلمون كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً؛ والمقصودُ واحداً وهو رحمة المسلم لأخيه وتقوية عضده؛ والغايةُ واحدةٌ وهي قوّة الإسلام وهي الوسيلة للغرض الأُسْنَى وهو رضوان الله؛ فما بال رجالنا قد غَيَّضُوا عِبْرَاتِهِمْ وسكتوا عن ذلك الصراخ والعويل؟ هل قضى الإسلام مآربه واسترحنا؟ أم معونة المسلم مخصوصةٌ بحجّة دون أخرى؟ كلا؛ ولكن «صَلَّى الْمُصَلِّي لِأَمْرِ كَانَ يَطْلُبُهُ!»^(١٣).

وقد ظهرت لنا الأغراض والمقاصد، فبمن نثق؟ وعلى مَنْ نعتمد؟ وإلى مَنْ نوجّه عتابنا الحُرَّ وبكاءنا الحارَّ؟ إني لا أجد لهما موضعاً؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ

(١٣) شطر بيت من الشعر، نسبه القاضي وكيع في (أخبار القضاة) إلى القاضي شريك بن عبد الله النخعي؛ قاله في إسحاق بن الصباح حين ولي الكوفة، وأورده بلفظ: «صلى وصام لندنيا كان يطلبها * فمن أصاب فلا صلى ولا صاماً». قال: «ويقال إن شريكا لم يقل قط غير هذا البيت». انظر: أخبار القضاة؛ تأليف: محمد بن خلف بن حيان الشهير بالقاضي وكيع (ت ٣٠٦هـ). تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي. ط ١: ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م. مطبعة الاستقامة - القاهرة / مصر. ٣ / ١٧٤.

تكون جمعية الهلال الأحمر، باركها الله ونمّاها، فإنها المنجم الأكبر للإنسانية والفضيلة^(١٤).

بهذه الوسيلة، وبكل فضيلة تحلّت بها هذه الجمعية أَدْعُوهَا وأَدْعُو أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا إِلَى إِعَانَةِ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْإِمَارَةِ الْعُمَانِيَّةِ، الرَّافِعِينَ لِلْعَلَمِ الْأَبْيَضِ، عِلْمَ الْعَدْلِ وَالسَّلَامِ وَالْأَمَانِ، عِلْمَ الْحُرِيَّةِ وَالْمَسَاوَاةِ، عِلْمَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، عِلْمَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ.

إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ مُحِطٌ جَمْعِيَّةُ الْهَلَالِ الْأَحْمَرِ وَجَمْعِيَّاتِ الْإِسْلَامِ فِي الْهِنْدِ وَغَيْرِهَا فَقَدْ أَصَابَتْ لِفَضْلِهَا مَوْضِعًا، وَوَجَدَتْ الْمَحَلَّ اللَّائِقَ، وَالْمَوْقِعَ الْمُنْفَتِحَ إِلَى الْمُعَاوَدَةِ وَالْمُكَاتَّفَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ.

نَعَمْ، وَأَلْفُ نَعَمْ، وَالْقَوْمُ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ رَبِّهِمْ، وَإِطْلَاقِ حُرِّيَّتِهِمْ مِنْ مَرْبُطَتِهَا، وَبَعْثِهَا مِنْ مَدْفِنِهَا، وَفِي الْمَحَامَاةِ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَذُرَارِيِّهِمْ، وَمَسَاقِطِ رُؤُوسِهِمْ، وَمَدَافِنِ أُنْمَتِهِمْ وَعِلْمَائِهِمْ وَأَصُولِهِمْ، وَعَنِ التُّرْبَةِ الَّتِي فِيهَا نَبَتْوا وَعَلَيْهَا نَبَتُوا.

(١٤) ما أحسنها من دعوة وافقت المحز وأصابته المرمى؛ لو أصغت لها الآذان، ولكن التعصب [...] كامنا في النفوس [...] مسلم لإعانة [...] . (قال سلطان: هذا المتبقي من تعليق يبدو أنه من قول الناسخ سالم بن سليمان البهلائي).

وأزیدکم بشارة؛ أنهم انتبهوا انتباهةً في الشرق، فكانت بادرة الانتباهة سَلَّ السيف المحمدي من قِرَابِهِ، وليس القوم بالمحلّ البعيد، والاكتشاف يزيل التلبیس، والمشاهدة تَمَحِّقُ التدليس.

هَلُمَّ فَلْتُرْسِلْ جَمِيعُهُ اهلال الأحمر عُيُونَهَا، ولتنظر بالبصائر لا بالأبصار إلى سيرة القوم؛ إِنَّ كانت مفارقةً لسيرة محمد صلى الله عليه وسلم، وسيرة أصحابه والسلف والصالح، فلتترك معونتها، وَلْتَعُدْ علينا بالتكذيب، إِنَّ وَجَدَتْ هناك غيرَ يدٍ باديةٍ الأشاجع^(١٥)، تُمْسِكُ كتابًا نزل به جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام، وَسَيِّفًا مُفَلَّلًا من القِرَاعِ في سبيل الله.

فإن رَضِيَ المسلمون هذا الشرط فهو شرطهم علينا، ولا نُحَوِّلُ عنه حتى نلقى الأحبة محمدًا وحزبه، وإنْ نبذونا تحت ما تحكم به المقادير، والحقُّ فينا ومعنا^(١٦). والسلام.

^(١٥) الأشاجع هي عروق الكف أو أصول الأصابع، والعرب تقول: بادي الأشاجع، وعاري الأشاجع؛ تريد أنه نحيلٌ ذا خفة في الحرب.

^(١٦) أي: لأننا قمنا بكتاب الله وسنة نبيه، ولم نته الأهواء، فنأخذ الحق من كان، وننبذ الباطل ممن جاء به، ولم نُقَيِّدْنَا عن الاجتهاد قيود التقليد، فنحن أهل القرآن، وآل محمد عليه الصلاة والسلام، سيرتُنا مَرْضِيَّةٌ، يُجِبُّهَا مَنْ تَشَعَّشَعَ في قلبه نورُ الإيمان، ويبغضها أهل السَّفه والبهتان. والحقُّ فينا ومعنا، عليه نحيا وعليه نموت، وعليه نبعث يوم يُبعث من في القبور. اهـ. ن. (حرف النون علامةٌ على أن هذا التعليق لأبي مُسلم ناصر).